﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران: 142]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

نيل الدّنيا بالاختبار والتّمحيص، ونيل الآخرة بالجهاد والمصابرة

لَمَّا أرشدَ اللّه تعالى المؤمنين في الآياتِ السَّابقة إلى أنَّه لا يَنبغي لهم أن يَضعُفوا أو يَحزنوا، وبَيَّن لهم حِكمةَ ما أصابهم يومَ أُحد، وأنَّه منطبِقٌ على سُنَّته في مداولة الأيَّام بين النّاس، وأنّ أسبابها الموجبة، منها تمحيص أهل الحقِّ بالشَّدائد، بتربيتهم على الصِّفات الّتي تؤهّلهم للسّعادةِ في الدُّنيا، بيَّن في هذه الآيةِ أنَّ سعادةَ الآخِرة، لا تُنالُ إلَّا بالجهادِ والصَّبر[1]، إذْ إنّ سلعة اللّه غالية، وسلعة اللّه هي الجنّة العاليّة، ومَنْ طَلَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ المَهْرُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَسِبْتُمْ﴾: من الحُسبان بمعنى: الظَّنِّ. ذَكَرَ السَّمين الحلبيُّ أنَّ المشهور في الحسبان أنَّه يرادف الظَّنَّ في أحد وجهيْه، وهو الغالب[2]، وهو المعنى الذي عليه الآية، وقال الرَّاغب: " والحسبان أن يُحكَم لأحد النَّقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه، ويقاربه الظنُّ، لكنَّ الظنَّ أن يخطر النَّقيضان، فيغلِّب أحدهما على الآخر"[3]، ويقول السّياق: إنّ اعتقاده دخول الجنّة دون تضحية، ودون مغامرة ولا مصابرة، نوع من الغرور، وإيراده لفظ ﴿حَسِبْتُمْ﴾ في معرض الاستفهام عن ظنّ ليس بواقع في ذاته، لأنّه لاينال الجنّة من لم يدفع مهرها؛ من نفسه بالجهاد، ومن عزمه بالصّبر، فهو

(1) رضا، تفسير المنار: 4/127.
(2) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (حسب).
(3) الرَّاغب: المفردات، ص: 234.

واهِمٌ في ذلك، والّذي سوف يقع هو العكس، وهو أنّ من يجاهد ويصبر ينالها استحقاقا، ويدخلها جزاءً وفاقًا.

2) ﴿أَن تَدۡخُلُواْ﴾: الدُّخول: النُّفُوذُ في الشّيْءِ، وأَصْلُهُ: الوُلُوجُ، وضِدُّهُ: الخُرُوجُ، وهو ما عليه معنى الآية الكريمة، وَيَأْتِي الدُّخُولُ بِمَعْنَى الابْتِدَاءِ، تَقولُ: دَخَلَ في الأَمْرِ: إذا بَدَأَ وأَخَذَ فيهِ، وَمِنْ مَعاني الدُّخُولِ في اللُّغَةِ أَيْضًا: الوُرودُ، والاخْتِلاطُ والاقْتِحامُ[1]، ودخول الجنّة مطمح كلّ مؤمن، طائعًا كان أم عاصيًا، وحيث إنّ لفظ الدّخول هو المقصود من كلّ راغب في الجنّة، فقد استعمله السّياق بصورة مباشرة، وبالتّصريح لا بالتّلميح.

3) ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: البُسْتَانُ، ويُقالُ: هي النَّخل الطِّوالُ، وكُلُّ شَجَرٍ مُتكاثف يَستر بعضه بعضًا فهو جَنَّة، وقِيل: لا تكونُ في كلام العَرب جنَّة إلَّا وفيها نخلٌ وعِنب، وإلَّا فهي حديقةٌ. والجَمْعُ: جَنَّات وجِنَان[2]، الجنّة أهمّ ما ترنو له الأنفس، وتشتاقه الأعين، لما فيه من فسحة وجمال ومتعة، ومن هنا كان الإغراء بها، باعتبارها أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، واللّفظ يوحي بالتفاف أشجارها، وسترها ما وراءها، لتزيد بها المتعة، ويهنأ بها الدّاخل إليها.

4) ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ﴾: العِلْمُ: المَعْرِفَةُ، يُقال: عَلِمْتُ الشّيْءَ، أَعْلَمُهُ، عِلْمًا، أيْ: عَرَفْتُهُ، وهو ما عليه معنى الآية الكريمة. وضِدُّه: الجَهْلُ. ويأْتي العِلْمُ بمعنى الإتْقانِ والإحْكام، يُقال: عَلِمَ الأَمْرَ وتَعَلَّمَه، أيْ: أَتْقَنَهُ. ومِن مَعانيه: الإدْراكُ والاعْتِقادُ والتّصْدِيقُ والظّنُّ[3]، ومعنى العبارة في السّياق: " أي ولما يقع ذلك منكم فيعلمه، فإنّه لو وقع لعلمه، فجازاكم عليه بالجنّة، فيكون الجزاء على الواقع المعلوم، لا على مجرّد العلم، فإنّ الله لا يجزي العبد على مجرّد علمه فيه، دون أن يقع معلومه"[4].

5) ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾: الجِهادُ: المُبالَغة واسْتِفْراغ ما في الوُسْع والطّاقة مِنْ قَوْلٍ أو فعْلٍ، وهو معنى المقصود بالآية الكريمة، يُقال: جاهَدَ يُجاهِدُ: إذا بَذَلَ طاقَتَهُ في تَحْصِيلِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، والجوهريّ، الصحاح: (دخَل).
(2) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزّبيدي، تاج العروس: (جنن).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (علم)، والجرجانّي، التّعريفات، ص: 155.
(4) المعنى المذكور أفاده ابن قيّم الجوزيّة، ينظر: جمال الدّين القاسميّ، محاسن التّأويل: 2/420.

شَيْءٍ ما، ويُقال: جَهَدَ الرَّجُلُ، وجاهَدَ في الشَّيْءِ، أيْ: جَدَّ فِيهِ وبالَغَ. مَأْخُوذٌ مِن الجَهْدِ، وهو المَشَقَّةُ، وقيل: المُبالغةُ والغاية. أو مِن الجُهْدِ وهو: الوُسْعُ والطّاقَةُ[1].

6) ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الصَّبْرُ: الحَبْسُ والكَفُّ في ضِيق، وَمِنْه قيل: فُلانٌ صُبِر، إذا أُمْسِك وحُبِسَ للقَتْلِ، فالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَن الجَزَعِ، وحَبْسُ اللّسَانِ عَن الشَّكْوَى، وحبْسُ الجوارِحِ عَن التَّشْوِيشِ. وقال الحَرِيرِيّ: الصَّبْرُ: أَن لَا يَفْرِقَ بينَ حَالِ النِّعْمَةِ وحالِ المِحْنَةِ، مَعَ سكونِ الخاطِرِ فيهمَا[2]، ومعنى اللّفظ في الآية، أي ليظهر للنّاس صبركم على المشاقّ في أمر دينكم، كما هو معلوم عند الله[3]، وبالصّبر تُنَالُ الجنّة، ويوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إنكار على من ظنّ أنّه يدخل الجنّة، دون مجاهدة ولا مصابرة

يؤكّدالسّياق في هذه الآية، أنّ ظنّهم دخول الجنّة، دون أن يتبيّن المجاهد الغيور، من المتقاعس المغرور، ويعلم الصّابرالثّابت، من الجازع المتهافت، هو ظنّ باطل، وزعم كاذب، إذ طريق الجنّة محفوف بالمكاره، ولن ينالها أحدٌ إلّا بالشّدائد والقتال، حينما يظهر الله بعلمه الأزليّ، أنّ منكم مجاهدين في سبيله، أشدّاء على أعدائكم الألدّاء[4]، وأنّ هناك صابرين على لأواء الحياة، وطوارئ الأزمات.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التّعبير بـ (أم) في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾:

الجنّة لا تُدرك بالتمنّي

(أم) هنا منقطعة بمعنى (بل) الانتقالية، ولمّا كانت (أم) المنقطعة دالةً على أنّ ما بعدها في حكم المظنون لا المتيقّن، واقترن

(1) ابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جهد).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزّبيدي، تاج العروس: (صبر).
(3) العاني، بيان المعاني: 5/411.
(4) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 68.

هذا بمجيء الفعل ﴿حَسِبْتُمْ﴾ المقرّر للظَّنِّ وكانت همزة الاستفهام للإنكار، أفاد التّعبيرُ بـ (أم) الانتقال من تسلية المؤمنين إلى معاتبتهم على ما وقع منهم من المخالفة في غزوة أحد على سبيلِ الإنكار المؤكَّد على ظنّهم الذي تقرّر في أنفسهم، من أنّهم يدخلون الجنة من غيرِ جهادٍ في سبيلِ الله ومن غيرِ صبرٍ عليه، فالاستفهام الإنكاري على معنى النّهي للتبكيت على انتفاء جهادِهم وصبرِهم في الحربِ، وتقدير الكلام بعد الإضراب الانتقالي: لَا تَحْسَبُوا أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَقَعْ مِنْكُمُ الْجِهَادُ ولا الصبرُ عليه[1].

وأجاز بعض المفسرين أن تكون (أَمْ) هنا متّصلة للمُعادلة، ويكون المعنى: أعلمتم أنَّ لله تعالى سننًا في النَّصر والهزيمة، وأنَّ الأيَّام دُوَل، وأنَّ الوصول إلى السُّنة يحتاج إلى إيمان وجهاد وصبر، أم حسِبتم وظننتم أنَّكم تدخلون الجنَّة من غير مجاهدة واستشهاد؟[2]!.

نكتةُ التّعبير بـ (لمَّا):

أفاد التّعبيرُ بـ (لمّا) ثلاثة أمور، هي تأكيدُ النّفي وتقريرُه، ونفيُ الجهادِ فيما مضى وفي الحالِ، والإيذانُ بوقوعِه في المستقبل القريب، وفي هذا إشارة إلى أنَّ المخاطبين سيُسارعون في تلافي ما هم فيه من قُصور، ولمّا كانت الواو في قوله (ويعلم الصابرين) على معنى المعيّة أفادت أن ما ذُكِرَ من معنى (لمّا) يجري في الفعلين على معنى اجتماعهما.

دلالةُ الكناية في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

نفي العِلم في جانب الحق تعالى هو نفي المعلوم

لمّا كان الله تعالى لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلُّق علمِه بكلِّ المعلومات، كان نفي علمِه سبحانه وتعالى بشيء لازمًا لنفي ذلك الشيءِ وجودًا وحقيقةً، فكان نفي علمِه تعالى بمجاهدتهم وصبرهم نفيًا لوجودِهما، مع الإيذان بقرب حصولِهما في

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/420، والرّازي، مفاتيح الغيب: 9/375، وابن يعيش، شرح المفصل: 8/98.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/420، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/359، وأبو السّعود، وإرشاد العقل السليم: 2/91، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/105، وطنطاويّ، التفسير الوسيط: 2/277.

المستقبل، فهي كناية على طريق البرهانِ العقلي[1]، وهذه الكناية اللَّطيفة تنبيهٌ على فضل الله تعالى العَظيم عليهم في أنْ كتب لهم الجهاد في سابق علمه، وأجراه على أيديهم كسبًا لهم وسعيًا.

دلالةُ تكرير الفِعل ﴿يَعْلَمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

تَكريرُ الفِعل ﴿يَعْلَمِ﴾ في الآية الكريمة؛ لاختلافِ متعلَّق الفعل[2]، إذ تعلّق في الأوّل بالذين جاهدوا وفي الثاني بالصابرين، كما أفاد التكريرُ تقريرَ نفي كونهم صابرين في الجهاد، لأهميّته وعِظمِ شأنِه.

مناسبة العطف في قوله ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

لمّا جاء الفعل في قولِه ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، منصوبًا كانت الواو بمعنى مَعَ، والمرادُ طلبُ حصولِ الفعلين معًا على الاجتماعِ لا على الانفراد، بمعنى اقتران الصبر بالجهاد وعدم انفكاكِه عنه، فلا جهادَ من غيرِ صبرٍ مقترنٍ به، وَالْمُرَادُ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَتَرْكَ الْمُصَابَرَةِ عَلَى الْجِهَادِ مِمَّا لَا يَجْتَمِعَانِ ولهذا قدّم الجهادَ على الصبر، ولو قدّمَ الصبرَ على الجهاد في هذا السياق لكان المعنى لا صبرَ من غيرِ جهادٍ مقترنٍ به، وهو خلاف المراد والواقع، ومعنى الآية: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْكُمُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ[3].

مناسبة المخالفة في التّعبير في قوله ﴿جَٰهَدُواْ﴾، ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

عبَّر بالفعلِ ﴿جَٰهَدُواْ﴾ صلة للموصولِ وسيلةً لمدحِ ذواتِهم بالتَّعريضِ بتعظيمِ شأنِ فعلِ الجهادِ، ولإفادةِ أنَّه ليس على الدوامِ والثبوت، وعبَّر باسم الفاعِل ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في مقام الصَّبر؛ إشعارًا بأنَّ الصَّبرَ ينبغي أن يكون وصفًا ثابتًا للمؤمنِ جاهدَ أم لم يُجاهد، كما أنّ فيها رعايةً للفاصلةِ[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 2/91، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/337.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/381.
(3) الراغب، تفسير الراغب: 3/887، ورضا، تفسير المنار: 4/129.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/91، والآلوسي: روح المعاني: 2/285.

المتشابه اللَّفظي:

في القرآن الكريم ثلاث آياتٍ موضُوعها واحد، وهو الحثُّ على الجهاد، والصَّبر عند البلاء، بيد أنَّها اختلفت فيما بينها في بعض الألفاظ، وهي على النَّحو الآتي:

الآية الأُولى: قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة: 214].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران: 142].

الآية الثالثة: قوله ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [التوبة: 16].

ففي آيتي البقرة وآل عمران قال سبحانه: ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وفي سورة براءة قال: ﴿أَن تُتۡرَكُواْ﴾، وفي البقرة قال: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾، وفي آل عمران وبراءة قال: ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾، وفي آل عمران قال: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾، وفي براءة قال: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗ﴾، فما هو وجه الاختلاف اللَّفظي بين هذه الآيات الثَّلاث؟

والجوابُ الإجمالي أن يُقال: مردّ الاختلاف يعود إلى اختلاف المقامِ الذي سيقت فيه الآيات.

وبيانه: أنَّ آية البقرة واردة على ما تقدّمها من خِطاب المؤمنين على العموم في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: 208]، ثمَّ لمّا بيّن لهم أحوال مَن تقدمهم من الأُمم، عرّفهم أنَّه لا بدَّ من الابتلاء والاختبار، فجاءت الآية تسليةً لهم لِتحمّل المشقّة، فقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ [البقرة: 214]، فآية البقرة لم يقع فيها تخصيص بغير المؤمنين، لا من جهة اللَّفظ، ولا من جهة المعنى، فناسبها الإطناب، وذكر حال من تقدَّم من الأُمم في ابتلائهم.

وأمَّا آية آل عمران فخاطب بها أهل أحد خاصَّة؛ تسلية فيما أصابهم، وخصَّ فيها ذكر الجهاد والصَّبر، وما جرى يوم أحد، فهي تتحدَّث عن واقعة مخصوصة، فهذا وجه ما انفردت به، واختصت به عن آية البقرة، فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أمَّا آية براءة فقد جاءت خطابًا للمُؤمنين الَّذين شهدوا فتح مكة، وإعلامًا لهم بأنَّهم لا يكمل إيمانهم إلَّا بمُطابقة ظواهرهم بواطنهم، للتّحذير من الاتّصاف بصفة النفاق فأعلمهم أنَّه لا بدَّ من ابتلائهم واختبارهم؛ لتخلص أحوالهم، وتمتاز من أحوال المنافقين، وأنَّهم لن يتركوا دون ابتلاء واختبار[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحُسبان، والظَّنّ، والزَّعم:

الظَّن ضَربٌ من الاعتقاد، وقد يكون حُسبان ليس باعتقاد، وأَصل الحسبان من الحساب، ثمَّ كثُر حتى سُمِّي الظَّن حُسبانًا على جهة التَّوسع وصار كالحقيقة بعد كَثْرة الاستعمال[2]. وفرَّق أبوهلال العسكريّ بين الحُسبان والزَّعم، بأنَّ الحُسبان لا يكون إلَّا باطلًا، والزَّعم قد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا[3]. وما قاله أبو هلال فيه نظر؛ فالحُسبان قد يكون فيما ليس باطلًا كما في آيتي النَّمل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ [النمل: 66]، وفي سورة الإنسان: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا﴾ [الإنسان: 19]؛ فالغالب أن يكون الزَّعم والحُسبان فيما هو باطل، والحُسبان توهّم كون الشَّيء على صفة ليس عليها، والزَّعم "حكاية قول يكون مظنَّة للكذب"[4]. والظَّن ترجيح طرفي الشَّك[5]، ولذلك كان استعمال السّياق للفظ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، دون اللّفظين الآخرين، إيذانًا بأنّ ما حسبوه يخالف الواقع، ويجانف الحقّ، إذ إنّ دخول الجنّة لا يكون بالأماني الكاذبة، دون عمل ولا صبر ولا التزام.

(1) الإسكافّي، درّة التّنزيل: 1/335 - 338، والغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/64 - 66.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 343.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 185.
(4) الرّاغب، المفردات، ص: 380.
(5) سعد بن عبد العظيم، موسوعة الفروق القرآنيّة: 2/705.

العِلْم والمعرفَة:

عِرْفان الشّيءِ خِلاَف الجَهْل بِهِ، عَرَفه يَعْرِفه عِرْفاناً ومَعْرِفة، ورجُلٌ عَرُوفٌ وعَرِيفٌ وعارِفٌ، وقد أنْشد سِيبَوَيْهِ:

أوَ كُلّما وَرَدتْ عُكاظَ قَبِيلَةٌ***بَعَثُوا إلَيَّ عَرِيفَهُم يَتَوَسَّمُ[1]

والمعرِفَةُ أخصُّ مِنَ العِلْمِ؛ لأنَّها عِلْمٌ بَعَيْنِ الشَّيءِ مُفَصّلًا عمَّا سِواهُ، والعِلْمُ يَكُونُ مُجمَلًا ومُفَصلًا، فكُلُّ مَعرِفةٍ عِلْمٌ وليس كُلُّ عِلْمٍ مَعْرِفَةً، وذلك أنَّ لَفْظَ المعرِفَة يُفيدُ تَمييز المَعلُوم مِن غَيره، ولَفظُ العِلْمِ لا يُفيد ذَلكَ إلَّا بِضربٍ آخر مِنَ التَّخصيص في ذِكْرِ المعلوم، والشَّاهد قَول أهل اللُّغة: إنَّ العِلْمَ يتعدَّى إلى مَفعولَين ليس لكَ الاقتصار على أَحدِهما إلَّا أن يكونَ بمعنى المَعرفة، ولا تنافي بَيْنَ تَفسيرِ العِلْم بالمعرفةِ والمعرفة بالعِلْم، وبَيْنَ أن يكُونَ لكُلٍّ مِنهُما مع ذَلكَ معنًى يختَصُّ بهِ، وإنَّما المقصودُ اشتراكهما في المفهوم الإجماليّ المُستَنِد إلى ثُبوتِ معنًى في النَّفس، هو حقيقةُ العِلْم والمعرفةِ، وكما يقول الإمام ابنُ حَزْم – رحمه الله –: فالعِلْمُ والمعرفةُ اسْمان واقِعَان على معنًى واحد، وهو اعتقادُ الشَّيء على ما هو عليه وتيقُّنه وارتفاع الشُّكوك عنه[2]، وقد استعمل السّياق في هذه الآية عبارة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾، بلفظ العلم، والله عليم، "يقال: الله تعالى عالم ولا يقال عارف، إذ ليس إدراكه تعالى استدلاليًّا ولا مسبوقًا بالعدم، ولا قابلًا للذّهول، والنّسبة بين المعرفة والعلم بهذين المعنيين، هي العموم مطلقًا، هكذا في حواشي المطوّل في تعريف علم المعاني"[3]، وقد كان استعمال لفظ العلم في مكانه المناسب، فهو متعلّق بعلم الله، والله يوصف بالعلم، فيقول القرآن: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجنّ: 26]، ولم يقل: عارف الغيب، فكان ذلك دليلًا على انسجام اللّفظ مع الدّلالة والاستعمال.

(1) ابن سيده، المخصّص: 1/257، والجوهري، الصحاح: (عرف)، والبيت لطريف العنبري.
(2) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 80، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنّحل: 5/68.
(3) التّهانويّ، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/1584.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»